قليلٌ منَ العُمرِ يكفي

نصوص شعرية

بقلم

هيفاء شاكرنصري

قليل من العمر يكفي

نصوص شعرية 2015- 2016

تأليف هيفاء شاكر نصري

HaifaN_63@hotmail.com

اتحاد الكتاب العرب

صورة الغلاف : الفنان فلاديمير كوش

تدقيق لغوي :أحمد بو حاجب \تونس

نسخة للطباعة الالكترونية

الأعمال غير الكاملة

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى مرآتي التي كلّما سألتُها من أكون

تريني أجمل ما في الحياة

حتى انقضى العمرُ وما زالَ القلبُ شابّاً

هيفاء.ن

وأرى فيك بقايا العمر وأوهامي

مظفر النواب

ما العمر ما طال به الدهور ، العمر ما تم به السرور

ابو فراس الحمداني

إني احبك عمراً ، وما نهاية العمر إلا الفنا

الحلاج

قليلٌ من العمرِ يكفي

بقيَ القليلُ من عمرِنا

ولكنْ هذا القليلُ يكفي

لكي تضمَّني العمرَ الباقي

يكفي لكي نتشارَكَ معاً أشياءَنا الجميلةَ ،

أمنياتِنا الباقيةَ ، وأحلامَنا الورديةَ

بقي القليلُ من عمرِنا

وهذا القليلُ يكفي

لكي نتراشقَ بالثلجِ في الشتاءِ ،

نمشي تحتَ المطرِ ويدي في يدِك ...

يكفينا هذا القليلُ

كي نجلسَ قربَ المدفأةِ متلاصِقَين

نقلّبُ صورَ الماضي معاً ، نتذكّرُ

نضحكُ معاً ، نبكي معاً

نرقصُ ، نغنّي معاً ،

ونشربُ نخبَ الحياةِ

نترقبُ الحاضرَ معاً ،

نشهدُ معاً مرورَ الخريفِ وقدومَ الربيعِ

ما بقي من العمر يكفي

لأهديكَ ورداً في الأعيادِ

لأرى الابتسامةَ على ثغرِك

ونمارسَ طقوسَ الغرامِ الخاصِ بنا

كما نحبُّ ونشتهي

وليسَ كثيراً علينا

أن يشتدَّ العناقَ في ليالي الشبَق

وأن يختلطَ العطرَ

بأنفاسِ الرغبةِ المحمومةِ

وأن تشهدَ تنهداتُنا

ليالي الصيفِ المقمرةِ

حينها نسبحُ في بحيراتِ الإلفةِ ،

نبحرُ في بحورِ الوَلَه

وننهلُ من بُركِ اللّذةِ

بقي القليلُ حبيبي

وهذا القليلُ يكفينا للكثيرِ من الجنونِ

والكثيرِ من المغامراتِ

والكثيرِ مِنَ التَمرُّدِ

على التقويمِ الهجريِّ والميلادي ،

على عقاربِ الزمنِ المتلاحقةِ

وتعاقبِ الليل والنَّهار

بقي القليلُ ،

ولكن هذا القليل عمرٌ من الشوقِ والحبِّ

عمرٌ من القهوةِ المسكوبةِ في صباحاتِنا

وعمرٌ من الشموعِ الذائبةِ في لياليِنا

بقيَ القليلُ حبيبي ،

ولكن هذا القليل سيصبحُ عمراً

فالبعضُ عاشَ كثيراً

ولم ينعمْ حتى بالقليلِ من الحياةِ

بقيَ القليلُ

ولكننا سنَنهلُ من حلوِ وجودِنا معاً

لحظةً بلحظه

بدءاً من إبتسامةِ عينيكَ التي تخترقُني

ورجفةِ أصابعي على مساماتِ جسدِك

وانتهاءً بآخرِ ذرَّةٍ كونيةٍ في عالمِ الوجودِ

ألَم أقلْ لكَ يا حبيبي

أنَّ قليلَنا أكثرُ من كثير

طالما نحنُ معاً

كلّهنَّ لأجلَك

هكذا أنا ، كلُّ النساءِ

حين يتعلّقُ الأمرُ بك

لي عقلُ سيدةٍ في الخمسين ...

ومشاعرُ عاشقةٍ في العشرين

وقلبُ حبيبةٍ في الثلاثين ...

وعاطفةُ رفيقةِ دربٍ في الأربعين

وحنانُ أمٍّ في السبعين

أنا كلهنَّ لأجلَك

فأقبلْ بجميعهنَّ

فكلهنَّ يعشقنكَ حتى الموت

لم أعدْ أكتفي بالوعودِ

الأيامُ تبدو ثقيلةً في غيابِك

الساعاتُ كأنّها تمتدُّ إلى مالا نهاية

وكأن الكرةَ الأرضيّةَ توقفتْ عن الدورانِ ..

كم طالَ غيابُكَ عني

وكم طالَ موعدُ اللقاءِ

لم أعدْ أكتفي بكلماتٍ في رسالة

لم أعدْ أكتفي بصوتِكَ يأتيني عبرَ الهاتفِ

وقد أدمنتُ رائحةَ جلدِكَ العطِر

ودفءَ أنفاسِك

أنا التي ارتميتُ في أحضانِكَ يوماً

فصارَ الكونُ ورديَ اللونِ

لم أعدْ أكتفي بالوعودِ

طالتِ المسافاتُ بنا يا حبيبي

والعمرُ قصير...

وكأنني لا يكفيني بردُ الشتاءِ،

في غيابِكَ ينخرُ في عظمي زمهرير

أرتجفُ وحدةً واشتياقا

ومازالَ في ذاكرتي ذاكَ العناقا

هو زادي لأيامٍ أفتقدُ فيها ضحكةَ عينيك

فتعالَ على صهوةِ الريحِ حبيبي

وكنْ لي وحدي

فأنا في حضورِكَ ، في غيابِكَ

كلُّ أفكاري لديكَ

يا مَن رحلتَ تاركاً ظلّكَ عندي ،

تاركاً طيفكَ عندي

تاركاً كلَّكَ عندي ...

بعضُك الذي قطعَ المسافاتِ وغاَبَ

جعلَني أعلنُ انهزامي أمامَ الغيابِ

وأكسرُ رمحَ التحدّي

فرَّقونا

ابعَدوني عنكَ يا قرّةَ عيني

لم يعذِروا فيكَ حبّي وحنيني

فرّقونا ...بقسوةِ اللائمينَ الغيارى

أحرقوا القادمَ من عمري

أحرقوا لي سنيني

يا حبيبي إن بقيتُ .....ستَشقى

وإن رحلتُ لأنجيكَ

مَن يمسحُ دمعةَ عيني ...؟

يا شقائي ...حرتُ بين حبّي إليك

وخوفي عليكَ من ندمِ الساهرِ الحزينِ

يا من بعتَ دنياك لأجلي

كيف أبيعُ في الحبِّ من يشتَريني

لكَ عمري ...لكَ روحي ...لكَ قلبي

من ذا يفرّقُ مابين رمشٍ وعينِ

فليفعلوا ما يشاؤون لنا فإني

أقسمتُ لن أرحلَ عنكَ

أقسمتُ لن يغلِبوني

وعد

أعدُكَ بأن أعيدَك للطفولة

لزمنِ البراءةِ والنقاء

أعدُك بأنكَ ستحلمُ بي

وتتذكرُ مراهقتك من جديد

أعدُك أنني سأعيدُك لفورانِ الشبابِ

ونيرانِ تلك المشاعرِ التي لا تهدأ

أعدُك بأن أعيشَكَ عمراً

يختصرُ العمرَ الذي مضى

وأن تعيشَني عشقاً يطيلُ أعمارَنا معاً

أعدُك بأن أكونَ امرأتك

التي حلمتَ باحتضانِها يوماً

وشممتَ عطرَها قبلَ أن تراها

وسمعتَ في همساتِها إليكَ

بوحَ الياسمين

لأجلي كنْ بخير

في انتظارِكَ يمرُّ الوقتُ زاحفاً

على ثواني يومي ،

ثقيلاً، بارداً ، لا لونَ له

ما اعتدتُ أن أشربَ الشايَ وحدي

ولا اعتدتُ أن أشربَ قهوةَ المساءِ وحدي

دائماً كان صوتُك يرسمُ لي ملامحَ صباحاتي

فلا صباحَ بلا أنت

دائماً كانتْ كلماتك ترسمُ لي مساءاتي

ولا مساءَ دونك

قاتلاً هو انتظاري حين تلوحُ شياطينُ القلق

وتهمسُ لي أنكَ لستَ بخير

هو إحساسُ الأمِّ بوحيدِها

الذي تطوّع ليحمي الوطن

هو إحساس الزوجةِ بزوجِها

الذي ودَّعها وعانقَ البندقية

هو إحساسُ العشيقةِ لمعشوقِها

الذي غادرَ دون قبلةٍ

وقال انتظريني سأعودُ قريباً

ثواني نهاري كانتْ تشعرُ باليتمِ دون ضحكتِك

بلا أنت ، أكبُرُ كلَّ لحظةٍ ألفَ عام

أشيخُ ...أترهّلُ ...تملأ التجاعيدُ أفكاري

بلا أنت ، جلُّ ما أفعلُه هو النظرَ إلى الساعةِ

والتأفّفَ والقلق

أنتَ الذي كنتَ تملأُ أنفاسي بحضورِك

كلُّ ما حولي يرقصُ ويغني

لمجرّدِ رنين هاتفي باسمِك

انظرْ ما الذي يفعلُه غيابُك

كلُّ ما أحتاجُه هو حمامَك الزاجلِ

ورسالةً عليها اسمي ،

كما اعتدتَ أن تناديني به

لتعودَ دقاتُ قلبي إلى نبضِها المنتظَم ،

لتهدأَ تلكَ الفوضى

التي يحدِثُها غيابُك في عقلي وفي أفكاري ..

لأجلي ...

أيّها الغائبُ عن ساعاتي الأربعِ والعشرين

لأجلي كنْ بخير

لا شيءَ يشبهُك

لاشيَء يشبهُ حضورَكَ الخرافي

في حياتي

سوى ذلك الجبلِ الأشمِّ

جبلَ العرب

الذي تكسوهُ الثلوجُ

فتبدو لي ببياضِ شعرِكَ حاضِراً

بكلِّ هيبتِكَ التي ترهبُني

لاشيءَ يشبهُ ضحكتَكَ المجَلجِلةَ أمامي

الممزوجةَ بصوتِكَ الأجشّ

سوى صوتِ نواعير حماه وهي تدور

تخترقُ بصوتِها سكونَ المساء

لاشيءَ يشبهُ شوقَ عينيكَ

الذي يبتلعُ تفاصيلي بنَهمٍ

يُعرّيني ، يجرّدُني من ذاتي

إلّا احتضانَ الموجِ لجسدي

حين أسبحُ بمياهِ الأبيض المتوسط

على سواحلِ اللاذقيّة

فتبتلعُني تلك المياهُ اللازورديّة

لاشيءَ يشبهُك فأنتَ الوحيدُ

الذي أدمنتُ رائحةَ عطرِه وتبغَ نرجيلته

وغبارَ حركتِه العشوائيةِ قربي

لاشيءَ يشبهُك

سوى رائحةِ الزعترِ البرّي في غاباتِ الفرنلق

وظلالِ أشجارِ الصنوبرِ والبلوط

ممشوقةً كأنّها أنتَ ترافقُني في المسير

لا شيءَ يشبهُك

وأنتَ تكذبُ كذبَكَ الأبيضَ

المتقنَ حدَّ الصدقِ

لا شيءَ يشبهُ صدقَكَ الذي لا يُصدّق

سوى سماءِ بلادي

التي تخدعُنا بغيومٍ لا تمطر

وتصحو في أكثرِ أيّامِ الشتاء قساوةً وزمهريرا

أقلّبُ في ذاكرتي كلَّ الراحلينَ قبلَك

أفتحُ صفحاتِ الماضي

أنبشُ كلَّ الاسماءِ

والصورِ والوجوهِ والجراحِ

التي دُفِنتْ في قبورِ النسيان

وأرى ألّا شيءَ يشبهُك

ولا شيء يشبه وطني

فحبُّكَ كانَ الأغربَ

وحبُّه كانَ الأعمقَ

في زمنِه وفي توقيتِه وفي تفاصيلِه

حبُّكَ كانَ فاكهةً نضجتْ في غيرِ أوانِها

وينابيعَ تفجّرتْ في غيرِ مواسِمها

وحبُّه كان موجوداً دائماً

لكنّه لم يظهرْ للعيان

لا شيءَ يشبهُك سوى وطني ،

مثلُكَ الوحيدُ

الذي أسدلَ ستائرَ النهاياتِ السعيدةِ

على مسرحِ الحياةِ

ونقلني من مقاعدِ المتفرّجين

إلى خشبةِ الواقعِ

تاركةً لغيري حرّيةَ التصفيق

لبيتُ النداء

جئتُ إليك

كي أغيّرَ مجرى نهرِكَ العكِر

كي أغيّر مجرى حياتِكَ الفارغة

لا تسلْ من أين أتيتُ ...

من الحكاياتِ ،

من الأساطيرِ ، من الكتبِ المنسيّة

من ألف ليلةٍ وليلة ..؟

ربما لم تنادِني يوماً ، ولكنّي لبّيتُ النداءَ

جئتُ إليك كي أمسحَ السوادَ عن قلبِكَ الأبيض

كي أمسحَ الكرهَ عن قلبِكَ المحبِّ

كي أمسحَ القسوةَ عن قلبِكَ الحنونِ

جئتُ إليكَ كي أمسحَ كلَّ ما كان قبلي

وأبقى وحدي الحقيقةَ الكاملةَ داخلِك

أنا الطفلةُ المتهوّرة

العاشقةُ الغيورة

سيدةُ المواقفِ الصعبة

جئتُ إليكَ لأدخلَك عالمي

عالمَ الفرحِ والشوقِ والجنونِ

سأحوّلُ ذلك الجبلَ من الكراهيةِ

إلى سيلٍ جارفٍ

من الشوقِ والحبِّ والحنان

بدونِ أعشابٍ طبيةٍ

بدونِ تعاويذٍ سحريّةٍ

يكفيني أن أنطقَ تلكَ الكلمةَ

التي خضعَ لها الجبابِرة

وركعَ لها الملوكُ و السلاطينُ

يكفي أن أنطقَ تلك الكلمة

التي جعلتْ أنطونيو يخسر كلَّ شيء

من أجلِ كليوبترا

و أودتْ بحياةِ مجنون ليلى ...

هو الحبُّ يا سيدي

بيدي مفتاحُ قلبِكَ الكبير

وبيدي سأخرِجُ المارِدَ من قمقمِه

فقد آن أوانُ الخروجِ إلى النورِ

واستقبالُ الحياة

امرأة لا تنسى

لا أريدُ أن أكونَ امرأةً عادية

أريدُ أن أكونَ امرأةً لا تُنسى

مهرةً برّيةً عصيّةً على الترويض

أحبُّ جنوني ، تمرّدي ،

ولن أكونَ وجهاً في مرآتِك

لن أكونَ هرّةً أليفةٌ

تأمرُها أن تنامَ فتطيعُ

وأن تأكلَ فتطيعُ ، وأن تضحكَ وتبكي

لمجرّدِ إيماءةٍ منكَ ...

كنْ فارسَ هذه الفرس الجموح

دون لجامٍ ولا سرجٍ

أو اهجرْني

ولن تنساني عمرَك الباقي

وهذا جلَّ ما أريدُ

أحتاجُ عمراً لكي أعشقَك

يا مَن تقتحم سكونَ روحي

لا تسلْني إن كنتُ أحببتُك

فمثلُك لا يُعشَقُ في يوم

من يغمرُني بعذوبةِ ألحانِ السَواقي

ويدفعُ سنابلي للتمايلِ مع ريحِ أشواقِه

لا يُعشَقُ في يوم

من نامَ الوطنُ على ساعدَيه مطمئناً

واختصرَ جغرافيةَ الزمانِ والمكانِ

في خارطةِ الوفاء ،

لا يُعشَقُ في يوم

لشراسةِ الشوقِ معكَ متعةٌ تُسكِرُني

لغرورِكَ الذي يَنحني لي وحدي

رهبةٌ تُسعدُني

لعنفوانِكَ الذي صافحَ كبريائي

رِفعةٌ تُدهِشُني

ومثلكَ لا يُعشَقُ في يوم

أعيشُ تفاصيلك

بحذرِ لبوةٍ تقتربُ من فريسة ...

نهِمةٌ أنا لأعرفَكَ أكثَر

متلهّفةٌ لدخولِ عالمِكَ الخَطِر

لاكتشافِ ملوحتِك قبلَ حلاوتِك

وغضبِكَ قبلَ رضاك

واكتشافِ الرجلِ الكامنِ فيكَ قبلَ انسانيَّتِك

أنا التي عبرتُ شفافيةَ مياهِك

إلى عمقِ أغوارِك

أيُّها الشاسِعُ كهذا الوطن ،

الدافئُ كهذا الوطن ،

يتنفّسُكَ تُرابي

سنديانةً ليس لها جذور في أرضِ غيري

خطواتِكَ داخلَ أرضي هزّتْ عروشَ كياني

فلا تسلْني إن كنتُ قد أحببتُك

فمَن كان عطاءَه بلا حدود كهذا الوطن

لا يُمكن أن يُعشقَ في يوم

العمرُ يمضي

استنشقُ عطرَك ،

رائحتَك ،

أشعرُ بحضورِكَ

وأنتَ هنا ولستَ هنا

لم تغادرْ منذُ ضمَمْتُكَ يوماً

بقيتَ هنا في قلبي ،

بقِيَتْ أصابعي في يدِك ،

بقَيَتْ رائحتُك عالقةً في ثيابي

لم تغادرْ منذُ ذلكَ الوقت

وأنا لم أغادرْ قلبَك

هنا أنتَ في عيوني رغمَ المسافاتِ بيننا

فمتى ستطوي المسافاتِ عودةً إلى جنوني

العمرُ يمضي وصبري قليلُ

ولا شيءَ يوقفُ خفقاتِ قلبي المتسارعةَ إليك

سوى ضمّةٍ أخرى ، عناقٍ آخر

وحضورٍ أبديٍّ في أحضاني

لا يكونُ بعدَه فراق

غدر

شكراً لأن خذلانكَ لي كانَ بلا حدود

وغدركَ لي كانَ بلا حدود

شكراً لأنكَ نقلتَني من درجةِ الغلَيان

إلى ما تحت الصفر

أحرقتَ كلَّ سفني التي رستْ على شاطئِك ،

قطعتَ آخرَ خيوطِ الأمل

ومحوتَ كلَّ الأماني التي رسمناها معاً

لا عزاءَ لقلبي الذي نزفَ حتى الموت

لا عزاءَ لمشاعرٍ كانتْ أكبرَ من مقاسِك

لا عزاءَ لحبٍّ حمّلتُهُ جوعَ عمر ...وعطشَ عمر

وقلتُ هذا الذي لن يخونَ

لم يبقَ في القلبِ مكانٌ لطعنةِ خنجر

شكراً لأنكَ سرقتَ ضحكتي ،

أورثْتَني الحزنَ

واستبدلتَ فرحتي بالدموع

أيُّها القادمُ إلى حياتي

كي تحرقَ آخرَ مواسمِ الفرَح

وتطفئَ ألوانَ قوسِ قُزح ،

ليتني لم أعرفك

من قلبِ العتمةِ

فجأةً من قلبِ الصقيعِ

يغمرُني الدفـءُ

ومن قلبِ العتمة

يلوحُ ضوءٌ من بعيد

لم يهزمْني اليأسُ في غيابِك لحظةً

وفي داخلي أملٌ أستمدُّه من دفـءِ عينيك

من ذكرياتِنا معاً

من جلجلةِ ضحكتِك

وفوضى حضورِك الذي

يعربشُ على نوافذِ الروحِ

بعودتِكَ عادتْ الحياةُ تفتحُ ذراعَيها لي

وتلكَ الشمسُ التي كانتْ تحجبُ عني دفأها

وتزاورُ عني ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ

في غيابِك ،

عادتْ لتنشرَ شعاعَها الذهبي

فتتفتحُ ياسمينةُ قلبي

وتضربُ جذورَها عميقاً

في تلكَ الأرضِ الخصبةِ ... حبِّنا ..

أنتَ أيُّها اللامتناهي الأفُق

كم مرّةً قهرتَ الموتَ ... وعدتَ

لتهزمَك أحضاني وتمنحَكَ رايةَ الإنتصار..

منكَ أستمدُ قوَّتي ،

أستلهمُ قصائدي ، وأتركُ لكَ اختيارَ الوقت

لتغزوَني وتحتلَ مساحاتِ الجنونِ

الممتدّةِ نحوَك

بعودتِك أزهرَ الياسمينُ

وتناثرَ عبرَ المسافاتِ التي تفصلُنا

بانتظارِ أن يضيقَ الدربُ

وتتلاشى المسافاتُ

ولا يبقى سوى أنفاسِنا الحارّةِ

وارتجافِ روحٍ تاقتْ للحظةِ اللقاء

ربيع

حين يقاربُ الفجرُ أن يشقَّ نورَه

لا يبقى سوى الأرواحِ المتعَبة

وأجسادٍ أنهكَها الغرامُ في لجّةِ الليلِ الطويلِ

لا ظلالَ مستلقيةً أو واقفةً

لكنها التنهداتُ اللتي تجمعُنا

عبرَ مسافاتِ الصقيعِ ...

أنا وأنت ،

جسدانِ يحترقانِ عشقا

حتى ما عدنا نرى غيرَ احتفالِنا بالربيع

قبلَ أن أراكَ

طوبى لرعشةِ حضورِكَ المفاجئِ في قلبي

طوبى لرجلٍ كالحلُمِ يقتحمُ واقعي

ويتركُني بينَ الشكِّ واليقين

ها أنا أستسلمُ لوعودِك

وأرفعُ رايةَ الانتظارِ

دونَ أن أراكَ أو أسمعَ صوتَك

وأشهدُ أنّي رأيتُكَ بمرآةِ روحي

قبلَ أن تراكَ عيوني

وسمعتُ بوحِكَ في تراتيلِ خفقِ القلبِ

قبلَ أن تكلِّمَني

لطَيفِكَ ملامحٌ تحرِّضُني على البقاءِ

لظلّك العنيدِ وقعٌ يجبرُني

على التمسّكِ بخيوطِ الشمسِ

خوفاً من غيابِك ...

تحتلّني من بعيدٍ

وتهيمُ في ليلي كنسماتِ الربيع

يا من وضعَ اسمَهُ على مساحاتِ جسَدي

وقال امتلكتُكِ

أستسلمُ لكَ بكاملِ إرادَتي

ففي زمنِ الحبِّ ،

وحدها الرجولةُ تأمرُني فأطيع

أمنية

ليتَ لي جناحَين

كي أطمئِنَّ عليكَ

ليتني عشتُ معكَ في زمنِ الأساطيرِ

حيثُ كلُّ شيءٍ ممكن

لم نكنْ حينَها لنفترق

كنتُ آتيكَ على جناحِ فراشةٍ

وأطوي المسافاتِ قدوماً إليك

أنتَ أيُّها الفارسُ المقدامُ

كنتَ أتيتَني على حصانٍ طائر

وحاربتَ طواحينَ الهواءِ لأجلي

في عالم الحَكايا كلُّ شيءٍ ممكن

ليتني أحملُ فانوسَ علاء الدين

أخرِجُ الماردَ من قمقمِه ليُحضِرَكَ إلي

ربما كنتُ أراكَ لو كان لديَ مرآةً سحريَّةً

كنتُ أطفأتُ نارَ اشتياقي ولو لثوانٍ

لو كنتُ أحملُ خاتمَ سليمان

كنتَ الآنَ في أحضاني

سنلتقي خارجَ جدرانِ الوقت

سنلتقي خارجَ عقاربِ الزمان

نحن سنصبحُ الحِكايةَ التي لم تحكى بعد

ونصبحُ الأسطورةَ الواقعيةَ الملامِح..

لحظةُ جنونٍ ما نحتاجُه ..

وربما لحظةُ عقلٍ واحدة

نشدُّ فيها الرحال

ونلتقي في منتصفِ الطريق

تقولُ الحكايةُ

أنني ارتميتُ إلى صدرِكَ وتعلّقتُ بعنقِكَ

وانهلتُ بالقبلاتِ على شفتيكَ فورَ لقائِنا

تقولُ الحكايةُ أننا التقينا

وعشنا في سباتٍ ونبات

صار ماضينا الذي أوجعَنا

مجرّدَ ذكريات

وها أنا أنتظرُ أن تنهيَ الحكاية

وحتى ذلكَ الحين

ليتَ لي جَناحينِ ، كي أطمئنَّ عليكَ

في حضرةِ أنفاسك

باردٌ هذا الشتاءُ بلا أحضانِك

قاسيةٌ هي الحياةُ دونَ صحبتِك

مَيّتٌ نبضُ قلبي دون حبِّك

بدائيٌّ هذا العالمُ دون كلامِك

أنتَ أيُّها العالَمُ الواسعُ

الحضريُّ ، الدافئُ

الفرِح ، المضئُ ،

لك سحرُ قرطاج في ليالي الربيع

وهيبةُ تدمر وتاريخُها البديع

من البتراء تستمدُّ دهشةَ عينيك

ومن الأهراماتِ تستلهمُ ابتسامتك الغامضة

بيارات القدس تنمو من شرايين يديك

أيها القادم المعفّر بغبارِ التاريخ

على تجاعيدِ وجهِكَ تُرسَمُ خارطةُ أمّةٍ حولنا

وبين كتفيك خطٌّ بياني لحضاراتِ ما بين النهرين

من الفراتِ إلى النيل ومن مغربها إلى مشرقها

يا نبضَ شريانِ قلبي

في حضرةِ أنفاسِكَ

يصبحُ العمرُ لحظات جنون

وفي غيابِكَ يضيقُ بي رحبُ الكون

كنْ بخير يا توأمَ الروحِ فإني

بلا وجودِكَ في حياتي

في هذه الحياةِ أنا لن أكون

أنت صباحي

يا سارقَ الشمسَ من كبدِ السماءِ

فليكنْ صهيلُ الشعاعِ دفءُ اشتياقي

بينما أجدِّلُ العمرَ لأجلكَ ضفائرَ فرحٍ ...

على كفِّ يدِك ، تشابكتْ خيوطُ أقدارِنا

وتسمّرتْ خطواتُكَ على دروبي

فخذْ ما شئتَ من أيامي

إني نذرتُ لكَ الدقائقَ والثوانيَ

ولم يبقَ من صباحاتي

سوى صدى الليالي الطويلةِ

وطيفٍ له ملامحَ وجهٍ يأتيني كلَّ صباحٍ

ويقولُ : كوني لي ..... فأكون

متّهمَةٌ بكَ

فليكنْ حبُّكَ الجريمةُ التي ارتكبتُها

بمحضِ إرادتي

و لن يعاقبَني عليها القانون

متهمةٌ بكَ

وليكنْ حبُّكَ معصيَتي الوحيدة

التي لن أطلبَ لأجلِها الغفران

متهمةٌ بكَ ،

وحبُّكَ الخطيئةُ التي ارتكبتُها باختياري

وملءِ إرادتي

هكذا يرونَ حبّي لكَ معصيةً ..

خطيئةً ، جُرْماً شائناً

وأنا أراهُ هبةً من الله لقلبي الطاهر

ومكافأةً مقدسةً من السماءِ

وجنةً أرادَها الله لي

فهل أرفضُ عطايا الرحمن...؟

فليكنْ حبّي لك في أعرافِهم حرام

قد أرضى أن أكونَ أمامَ الناسِ

بحبِّكَ متَّهمة

ولن أرضى أن أكونَ لربي

على نعمتِه التي وهبَني

لن أرضى أن أكونَ جاحدَة

قرارُ القلب

منذ كلَّمتُكَ للمرّةِ الأولى

أخذَ القلبُ قرارَه

ووقّعَ العقلُ وثيقةَ اللاعودة

كانتِ اللحظةُ الفاصلةُ بينَ اليأسِ والأمَل

فقد كانَ وجهُكَ يبشِّرُني

أنني على قيدِ الحياةِ من جديد

وكانتْ عيناكَ تشدُّني إلى النورِ

منذ كلّمتُكَ للمرّةِ الأولى

وعطرُكَ يحتلُّ سطورَ قصائدي

ويرسمُ معي لوحةَ العشقِ المجنون

بألوانِ قوسِ قُزح

منذُ كلّمتُك للمرّةِ الأولى

وصوتُكَ الأجشُّ يشدُّني من شَعري

ويُلقيني بين يدَيك

يضربُني كصاعقة

يخترقُني كسهمٍ انطلقَ بطيشِ رامٍ متهوّر

منذُ كلَمتُك وأنا طفلةٌ ضائعة

فقدتُ سنيَّ عمري التي عشتُها قبلَك

تهتُ بين الدروبِ

وكانَ حبُّكَ المحطةَ الأخيرة

وأولَ شعاعٍ ، لفجرٍ لا بدَّ أن يشرقَ معَك

هكذا أنت منذُ عرفتُكَ للمرّةِ الأولى

بدأتَ كبيراً داخلي

ومع الوقتِ وكلّما عرفتُكَ أكثر

أزدادُ يقيناً أنَّ قلبي الصغير

أضعفُ من احتمالِ سعادتي معك

وأكبرُ من هذا العالمِ المتمدّنِ

حين أفكرُ بك

معكَ اختلفَ معنى كرويةِ الأرض

صارَ كلُّ شيءٍ مرهوناً براحةِ كفِّك

بأنفاسِك ، بغيابِك .....بحضورِك

وصارَ الكونُ امتدادَ ابتسامةِ ثغرِك

منذُ كلّمتُكَ للمرّة الأولى قلتُ : أنتَ لي

وما أكثرَ أمنياتي التي لم تتحقَّقْ

لكنني سأصلّي لكي تكونَ لي ...

عاجزةٌ أنا

فما تمنيتُ أكثرَ من حبِّك

على مدارِ عمر

وهل يملكُ الخيلُ إلّا الصهيل ..؟

مواسمُ الحصادِ

أرسمُ أحلامي بألوانٍ مائيةٍ ، فيغسلُها المطرُ

أزرعُ بذوري ، تأخذُها الرياحُ

وفي مواسمِ الحصادِ

لا شيءَ إلّا السراب ...

تلكَ الوجوهُ التي عبرتْ في ليالي الصقيعِ

تركتْ رمادَ نيرانِها واختفتْ

لا صرخاتِ ألم، ولا ندباتِ جروح

تلكَ الوجوهُ التي تعبرُ في الليلِ

تَقتُلُ بصمتٍ وترحلُ بصمتٍ

فقاتلُ االروحِ لا يدري بهِ أحدُ

مدلّلة

كنتُ يوماً طفلتُكَ المدلّلة

يا لهذا العمرُ يمضي

نحوَ ظلِّ المقصلة

لم تعدْ أحضانُكَ تتسعُني

كيفَ أحتملُ نيرانَ أشواقي المشتعِلة

معكَ أتمنى لو عدتُ طفلةً

تمرُّ بيديك على شَعري ...تُجدِّلَه

أعدْني إلى صدرِكَ الحاني

يا لقلبِكَ عاشقي ...ما أبخلَه

قد كبرتُ

غيرَ أنَّ القلبَ قد صارَ قتيلُكَ في الهوى

صرتَ أنتَ يا حبيبي قاتِلَه

أتعبتْنا السنون

مبتورٌ ذاكَ الوقتُ الذي مرَّ دونِك

هارباً من ثواني عمري

تاركاً إياي على أرصفةِ الزمنِ الحاضر

أعقدُ الصفقةَ الأخيرةَ مع الانتظار

فبعدَها لا انتظارٌ ...ولا مراكب

لا مواني‌ءٌ ....لا مطاراتُ .....ولا حدود

كلُّ ما كانَ من الممكن أن يعلِنَ قدومِكَ غيّبَهُ الرحيل

كلُّ ما كانَ من الممكن أن يعلنَ غيابِك

اكتفى بالعويل

كم مرّةً شددّتُ على يديكَ مودِّعةً ....وعدتَ

كم مرّةً قبّلتُكَ قبلةُ الوداعِ

ولوّحتُ بمنديلِ الفراقِ .....؟

رحلَ الجميعُ وأنتَ من أجلي بقيتَ

ربما بعضُ ما بيننا جنون

ربما كلُّ القضيةِ .... اتعبتْنا السنون...

ضعفتْ أجنحتُنا

لم يعدْ التحليقُ متعةً بلا رفيقٍ لنهايةِ الدربِ

لكنني ما اعتدتُ الوقوفَ على أطلالِ الراحلين

وما اعتدتُ أن أقفَ كطائرِ البومِ على الخرابِ..

حيثُ أقفُ أجعلُ ابتسامتي جِسراً

بين الموتِ والحياة

أنتَ يا مَن تركتَ لي ذكرياتِ عمر

أنتَ يا مَن رحلتَ خارجاً من ضفائِري

هارباً من أظافري

تاركاً لي جذورِكَ

لن تبتعدَ

فما بينَ الموتِ وابتسامتي اتفاقٌ

وما بين الحياةِ ولقائِنا اتفاقٌ

وعدٌ بيننا يا حبيبي أننا لن نفترق

وأنتَ خيرُ من يَعِد

لماذا أنتَ ..؟

بين النومِ واليقظةِ أنت

بين الشروقِ والغروبِ

بين فرحي ودمعتي أنت

مشرّدةً في مداراتِ الوحشةِ

مبلّلةً بندى أمسياتِ الحنينِ

أنتظرُ أن أتذوّقَ طعمَ حبِّك

أحترقُ بنيرانِ أشواقي إليك

منذُ هربتُ إليكَ من بينِ آلافٍ

يريدونَ النيلَ مني

فكنتَ لي الملاذ

حلمتُ بكَ طويلاً

كلُّ الأحلامِ الممكنةِ وغيرِ الممكنةِ رافقتْني

منذُ اللحظةِ الأولى التي سمعتُ صوتَكَ فيها

قبلَ أن أراكَ

فكم مرّةً كنتَ في أحلامِ يقظتي ،

كم مرّةً كنت طيفاً في نومي العميق

وكم من الكوابيسِ كانَ فراقُنا بطلاً فيها

حلمتُ بكَ حياةً كاملةً ..وحالةَ عشقٍ كاملةً

بكينا معاً ...تألمّنا معاً ...افترقنا

عدنا ... التحمّنا ... توحَّدنا

حلمتُ بكَ كلّمتُكَ في الحلُمِ ..

همستُ لكَ ....قبلتُك

ضمَمتُكَ ....شمَمتُكَ

تلاشتْ المسافاتُ التي بيننا

فكانَ عطرُكَ يخترِقُ أحلامي

ويوقظُني من سُباتي على رائحتِك

كانَ همسُكَ يهزُّني لأصحو على عينيكَ

تتأملَني بشوقٍ

كانتْ لمساتُك تُحرقُني ، تشعلُني ،

تلهبُ ليليَ القلِق

حلمتُ بكَ طويلاً حتى اقتربتُ كثيراً من الواقعِ

حلمتُ بكَ حتى صرتُ أخافُ إذا التقينا

أن تزاحمَ ذلكَ الحبيبَ الذي يسكنُ أحلامي

أن يغارَ منكَ وتغارَ منه

لا أريدُ أن أخسرَ أيّ منكما

وكلاكُما عشقي ...وعشقيَ أنت

ابقَ معي

ابقَ حبيبي دائماً حتى في غيابِكَ

ابقَ ..

حتى لو سكنتْكَ ألفَ امرأةٍ لتملأَ ذلك المكان

الذي شغلتُه يوماً لوحدي

ابقَ حبيبي كي لا تشهقَ بالبكاءِ

تلكَ المواسمُ التي شَهِدتْ على عشقِنا

ابقَ ... كي لا يصبحَ الخذلانُ ماركةً مسجلة

لعشاقِ هذا الزمان

حبُّنا كانَ مدرسةً تعلَّموا منها فنونَ الغزل

وما زالَ عندي أمل

ابقَ حبيبي قريباً كنتَ أم بعيد

فلقد تركتُ على صدرِكَ وشماً يحملُ اسمي

كما تركتَ على خاصِرَتي ختماً يحملُ اسمَك

موشومةُ الروحِ بك

مختومُ الحنايا بي

أنا وأنت حكايةُ هذا العصرِ ...

ابقَ حبيبي فبَعدي لن يَبقى لك سوى الذكرياتِ

وبعدَكَ لن يبقَى لي سوى التنهداتِ

ابقَ أيُّها الحبيبُ ،

ستفنى أجسادُنا وتندثِرُ أرواحُنا يوماً

فلا يبقى سوى عطرنا فوقَ الوسائدِ

وكلماتٍ قلناها يوماً فصارتْ قصائد

بأمرِ الحبّ

ممنوعةٌ من الوصولِ إليكَ

بأمرِ الطبيبِ

ممنوعةٌ أن أتخطى بياضَ الشراشفِ المعقمَةِ

أو أجلسَ قربَكَ أو أمسِكَ يدَك

ممنوعةٌ بأمرٍ من الطبيبِ

أن أُقرأ لك قصائدي ،

أو أهمسَ في أذنِك كم اشتقتُ إليك

ممنوعٌ عليَّ أن أقفَ قربَ سريرِكَ

كي لا ينبضَ قلبُكَ أكثرَ مما يُسمَحُ به

على شاشةِ القِياس

ممنوعةٌ أن أراكَ

وألمسَ جروحَكَ المفتوحةَ في لحمي

ممنوعٌ أن أبثَّ فيكَ الحياةَ

ممنوعةٌ أن أجعلَ الدفـءَ يسري في شراييـنك

ممنوعٌ من قبلاتي ، من طعمِ أحمر شفاهي

الذي يغيّرُ طعمَ الموتِ إلى ترياقٍ يُحييكَ في ثوانٍ

ممنوعٌ أنتَ عن جرعةِ حبٍّ

تكسرُ هذا البرودَ في أطرافِك

ممنوعٌ عن جرعةِ شوقٍ

تدفعُ الدماءَ سريعةً في شراييـنك

ممنوعٌ أن تسمعَ صوتي ،

أن ترى عيوني أو تلمسَ يدي

أو يُذكَرَ اسمي قربَك

كي لا نكسرَ لونَ بياضِ الملاءاتِ على الأسِرّة

فيصبحُ العالمُ حولَك ملوّنٌ

بألوانِ قوسِ قُزَح ...

ممنوعةٌ من الدخولِ عليكَ يا حبيبي

بأمرِ الطبيبِ

هم لا يعلمونَ أنني لو كنتُ بعيدةً

مجرّدَ ذكرايَ تعيدُ إليكَ الحياةَ ونبضَ القلب

ليس بأمرِ الطبيبِ ولكن ... بأمرِ الحبّ

بيني وبينك

بيني وبينك نهرُ الفراتِ وبردى

بيني وبينك جيشٌ يردُّ عن الشامِ ذاكَ الردى

أنت يا من تسلّحتَ بالصبرِ

وشربتَ ماءَ الندى

حبّي اليكَ تسامى فطالَ المدى

بيني وبينك ذاكَ السلاحُ

الذي يصحو بين يديك

ويبدّلُ كفرَهم بالهدى

يا كلَّ جنديٍّ في بلادي

بمثلِك يا رجلا لا يلينُ

وطني لا ، لن يضيعَ سُدى

دمُّ الشهداءِ استحال ربيعاً

وكلُّ شهيدٍ قد صار طيراً

على كلِّ غصنٍ شَدا

بيني وبينك عمرٌ ما كنتُ أعرفُكَ فيه

ولكن حين عرفتُكَ رجلاً جسوراً تصدُّ العدا

تمنيتُكَ لي ....ناديتُ ....ناديتُ

وأتاني صوتُك رجعُ الصَدى

بيني وبينك تلك المسافات لكن حبيبي

ضاعتْ مسافاتٌ فرّقتْنا

حين هوانا العميقُ إبتَدى

الحبُّ لغة الغفران

لأنني أكتبُ باليدِّ اليُسرى

صافحتْ أصابعي الملائِكة

وخطّتْ حروفَ اسمِكَ بالماءِ المقدسِ

كلماتٍ كالتي نَصِفُ بها الأنبياء

لكنَّها تُشبِهُكَ أكثَر ...

لأجلِكَ ابتكرتُ لغةً جديدةً

لا يفهمُها سِوانا ،

لغةً شفافةً كمياهِ الينابيعِ

مصقولةً كأسطُحِ المرَايا

تعكسُ ما تهمسُ به أرواحُنا

في لحظاتِ الافتقادِ المقيتِ

تُشِعُّ كلّما ذكرتُك

وكلّما ذكرتَني ...

بها أهتدي إليكَ يا نجماً

يتلألأُ في سمائي ..

معكَ ابتدعتُ أبجديةً جديدةً

كلّ حروفِها مضيئة ..

حبُّنا كانَ هالةً من نورٍ توَّجَتْنا

لم تكنْ آدم ....ولم أكنْ حَواء

لكنَّهُ التاريخُ الذي كتبناهُ بلغةٍ

وَمَضَتْ في عالمِنا كالصاعِقةِ

جعلتْ حياتي تبدأُ معكَ

وسطَ حقلٍ من الُتفّاحِ

ليسَ له بداية ولا نهاية

معكَ أفتحُ بابَ الجنّةِ على مصراعَيه

فالحبُّ هو اللغةُ الو حيدةُ التي

كلُّ خطاياها إلى الغفرانِ تؤول

إصرار

وأصرُّ رغمَ الموتِ أن أحيا

وأصرُّ أن أهواك

وأصرُّ أنك لي

لم يبقَ في الكونِ شيءٌ إلا تآمرَ ضدَّنا

كي لا نكونَ معاً

وبداخلي نارٌ هنا تغلي

لكنني قررتُ ان أصمد

أتحدى من أجلِ الهوى قدَري

سأحاربُ الدنيا لأجلِكَ أنت

أفلا تحاربُ أنتَ من أجلي..؟

اسطورة

حبُّنا ملحمةٌ اسطورية

لا تُشبِهُ جلجامش ولا الالياذة

ليس فيها من الخيالِ

ولكن مشاعرَ أكبرَ من استيعابِ البشر

فاعتبَروها خيالاً ...

ليس فيها من السحرِ والشعوذة

لكنْ أبديّةَ الإخلاصِ الذي لم يعرفْهُ البشَر ،

ظنوهُ سحراً

لم يكنْ حبّنا الكبير خرافة

حبُّنا ملحمةٌ اسطورية

تجعلُني أتحولُ بين يديك من نمرةٍ شرسة

إلى حمامةٍ تبني عشَّها قشّةً قشة

في حنايا قلبِك

أتحوّلُ بين يديك من ذئبةِ الليالي الباردة

إلى فراشةِ الربيعِ

وفي عينيكَ غابات عمري القادِم

حبُّنا ملحمةٌ اسطورية

كلّهم سمعوا بها ، ولم يروها

رفضوها ، قبِلوها

بعضهم بكى لأجلِنا وبعضهم ضحِكَ لنا

ولكن ذلك الوجعُ الذي رافقَنا

وجعلَنا اسطورة

نحن الوحيدين الذين عشناه

حبنا ملحمةٌ أسطورية

جعلتْكَ كلَّ حياتي ،

بدايةَ العذابِ الجميل

ونهايةَ الوحدةِ العقيمة

في زمنٍ يؤمِنُ بالأساطيرِ والخرافة

أكثرُ من إيمانِه بالحبِّ

اسطورة كنا حبيبي أم خرافة

فقد خُلِقنا من ماءٍ وطين

ولقد آمنتُ بك

آمنتُ أنَّ من مائي ومائِك سيكونُ أكسيرَ الحياة

وأننا معاً ، سنكتبُ في الحبِّ ملحمةَ الخلود

أوقفت عمري لأجلك

وقفتْ طيورُ السنونو

تحتارُ بين البقاءِ أو الرحيلْ

وبراعمُ آذارِ تبدأُ بالتفتُحِ

ومهرةٌ في داخلي بدأتْ بالصهيلْ

أوقفتُ عمري للبداياتِ الجميلة ،

فشتائي دونَكَ باردَ الليلاتِ قارساً وطويلْ

بك .. يكتملُ الربيع

يا زهرةَ اللوزِ على غصني الهزيلْ

ذا عطرُنا الفواحُ يسبقُنا ويجمعُ شملَنا

في الحبِّ ليس هناكَ شيئاً مستحيل

بدأتْ حياتي مذ رأيتُكَ ، والهوى

دافئُ النسماتِ ، فواحٌ ،عليل

يا عشقيَ المجنونَ ،

يا طيراً إلى قلبي يعودُ

كانَ هذا الكونُ دائريٌّ قبلَنا

صارَ بعدَ الحبِّ بيننا ..مستطيل

حبُّنا ، حلُمُ الليالي الليلكيةِ

حبُّنا عمرٌ سيأتي ،

كلّ ما فيهِ جميل

لستُ نادمة

لستُ نادمةً أنني أعطيتُكَ حبّيَ أنهاراً

فاضتْ على أراضيكَ العطشى

فسقَتْها حتى الثمالة

حقولُكَ طرحتْ شجراً وثمراً بعدَ الجفاف

ومعكَ أنا لا أخافْ

فقد اعطيتُكَ أكثرَ مما طلبت

وحبّي كانَ لك غيثاً ومطراً حتى شبِعتْ

ولستُ نادمةً أنني أعطيتُ أعطيتُ

وما قلتُ يوماً تعبتْ

لستُ نادمةً

أنني كنتُ الضياء في لياليكَ المعتِمة

ونجمةَ المساء ...

لستُ نادمةً أنني كنتُ لكَ كلَّ النساء

ضعيفةً أمام قوَّتِك

بسيطةً أمام جبروتِك

هادئةً حين غضبِك

عاشقةً رغمَ حيرتِك

لست نادمةً أنني كنتُ النارَ في صقيعِ شتائِك

وأنني راهنتُ يوماً على بقائِك

فقد كنتُ أعرفُ أنكَ رجلاً إذا قالَ .. فعَلْ

وإن تمنيّته يوماً فقد بلغتُ الأملْ

وأنه إذا قالَ سأتيكِ

يقيناً أراهُ وصَل ...

لستُ نادمةً أنني رسمتُ حدودَ السماءِ

فكانتْ كوجهِكَ فوقَ الورَقْ

ولستُ نادمةً أنني جعلتُ حبَّكَ

نهايةَ خطِّ الأفُقْ ،

لستُ نادمةً أني منحتُكَ قلبي

وقلبي بين حناياكَ فاحَ عطوراً ...عبَق

قد ترحل جسداً ولكنَّ روحكَ باقية

تخففُ عني الأرَقْ

معكَ ما عرفتُ الندَمَ يوماً

وما انتظرتُ منكَ أيَّ مقابل

فلو أنني ترفّعتُ عن عطائِكَ

بكلِّ هذا الشوقِ الحبِّ إليكَ

لكانَ قلبي احترَقْ

سكّينُكَ في ضلوعي

غريبٌ أمرُ هذه السكينُ التي تفصلُنا

رغمَ التصاقِنا حدَّ التوحّد

غريبةٌ هي مشاعري التي تشتعلُ حِمَماً

كبركانٍ يكادُ أن يتفجّرَ

غريبٌ أنكَ تنتقلُ بي من الغليانِ

إلى درجةِ التجَمُّدِ بكلِمة

وتُخمِدَ براكيني بكلِمَة

كدتُ أصدقُ أننا شخصٌ واحد

قبلَ أن تغتالَني سكّينُكَ

وتعيدَني إلى قارّةِ العزلَة

حيثُ لا أشواقَ ولا حنين

لا شيءَ سوى صرخةٍ بلا صوت

ودهشةٍ لا تَحتَملُ التفسيرَ ..

على حافةِ الوعدِ وقفتُ

وكنت أعرفُ أنني منفيةٌ بعيداً عنك

كلُّ التفاصيلِ الصغيرةِ والكبيرةِ

كانتْ تُهيّأني لفراقٍ أكيد

وكنتُ أتمسّكُ بخياراتي القليلة

أتمسّكُ بكَ ،

أكتفي بقليلِكَ وأقولُ : غمرتَني عمر

وأزداد التصاقاً بك

حتى أصبحتَ داخلي ...أو قد ظننتُ

أيقظني الألمُ الذي تركَتْهُ سكّينُكَ

على جسدِ القصيدة

أيقظَني الجرحُ النازفُ حِبراً من كلماتي

لم أكتبْكَ بالماءِ صديقي

فلمَ اختفيتَ هكذا عن أوراقي ...؟

فخورةً أنا بكلماتي التي سقطتْ عامداً متعمّداً

من قاموسِ جنوني

فخورةً بناقوسِ الذكرى ..الذي يدقُّ بلا نسيان

فخورةً بأني غادرتُ ولمْ أغادرْ

فقد كانت سكّينك لم تزلْ في ضلوعي

وبعض بقاياكَ تملأ كلّي

لن أتوقفَ عن حبِّك

حين تُغيّرُ الجبالُ أمكنتَها

ويخرجُ البحرُ عن مسارِه

ويصبحُ للسماءِ لونَ الأشجارِ

حينها فقط قد أتوقفُ عن حبِّك

حين تصبحُ الأرضُ مربعةَ الشكلِ

وتطيرُ النمورُ ،

تحلّق في السماءِ بأجنحةٍ

كأجنحةِ العصافيرِ

ويصبحُ أسودُ لونَ الثلجِ الهاطلِ فوقَ القِمم

حينها فقط قد أتوقفُ عن حبِّك

كلُّ المستحيلاتِ إنْ صُدِّقَتْ

وتحقَّقتْ معجزاتُ السماء

وفي هذا ضربٌ من المستحيلْ

لن أتوقّفَ عن حبِّكَ يوماً

فليس في الكونِ لعينيكَ بديلْ

تزولُ المسافاتِ بيننا

حين تفتحُ عينيكَ في الصباحِ

أكونُ قد ملأتُ جميعَ الفراغاتِ المحيطةِ بك

وسيطرتُ على جميعِ الأمكنةِ الشاغرةِ حولِك

حين تفتحُ عينيكَ في الصباحِ

أكونُ قد تسللتُ إلى مسامِك ،

دخلتُ جسدِكَ الدافئِ ،

تقمّصتُ روحَكَ العذبةَ

وسكنتُ أنفاسَك ...

من السهلِ أن أجتاحَكَ أيُّها الغافي بأحضاني

من السهلِ أن أحتلَّ المسافاتِ التي تفصلُنا

وأنتشرُ بين حناياكَ كالعطرِ

وأنتَ مغمضَ العينينِ هكذا ..

فليعلو الصهيلُ بيننا يا حبيبي

فقد تلاشتْ المسافةُ بين سهولِكَ وحقولي

حين صبَّتْ مياهُ أنهاريَ العذبةَ

في بحرِكَ المالحِ

و صارَ التفاحُ كلُّه مُلكاً لآدم وحواء

حيرة

كيف لي أن انزعَ عني عباءَة الحيرة

التي أرتدتْني منذُ دخلتَ حياتي

موجوعةً حتى النخاع قبلَك

مغدورةً ....مطعونةً ....مجروحةً

لم تكنْ أيامي عذبةً كما هي الآنَ معك

لم تكنْ دروبي مشجّرةً مزهرةً

كما هي الآن معك

تلكَ الأشواكُ التي علقتْ بأقدامي

حين غادرتُ آخرَ سنيِّ العشقِ

مازالتْ تؤلمُني كلّما خطوتُ نحوَك

بكلِّ الحذرِ الذي كان ينقصُني قبلَك

أخطو إليك

عاريةً من ذنوبي ومن أخطائي

عزلاءَ لاشيءَ يَحميني سوى خفقةِ قلبي

ولا أسألكَ الصفحَ ولا الغفرانَ

ماضيكَ قبلي ملكٌ لكَ

وماضيَّ قبلَك ملكي أنا وحدي

هناكَ أترُكُ ذكرياتي وأوجاعي القديمة

وأخطو إليك

أريدُك مثلي عارياً من ماضيكَ وذكرياتِك

أريدُكَ لي وحدي بلا منافس

تلكَ هي الحيرة التي نسجتْ أوصالَها في عروقي

كيف لنا أن نخرجَ من ماضينا بلا إعاقة

كيف لنا أن نُبقيَ على جمالِ أرواحِنا

رغمَ الألمِ الذي سكنَنا عمر

وشوّهَ أفكارَنا

كيف لي أن أمدَّ يداً إليك

وتمدَّ يداً إلي بدونِ أن تنظرَ إلى يدي الأُخرى

وبدونِ أن أنظرَ إلى يدِكَ الأُخرى لأتأكّد

إذا كانتْ تحملُ سكينَ الغدرِ ...؟

ورغم هذا كلُّه

من أجلِ هذا الحبّ الذي وُلِدَ متأخِراً

يحتاجُ الكثيرَ من أوكسجينِ الأمل

والكثيرَ من النسيانِ

والكثيرَ من الوفاءِ ،

من أجلِ محاولةٍ أخيرة

لأحياء قلبَينا معاً

خلعتُ عباءةَ الحيرة ...سلّمتُ للأقدارِ

وأتيتُ إليكَ ،

أتيتَ إليّ

نخرجُ من عتمِ الليلِ معاً

والآتي ضوءُ نهار

صبر

كنتُ قد نسيتُ أنَّ مَن يعشقَ

عليه أن يتجرّعَ حبوبَ الصبرِ

وينسجَ ستائرَ الليلِ من خيوطِ القَلق

كنت قد نسيتُ أنني حين أعشقُ

لا بدَّ أن أركبَ صهوةَ الانتظارِ

أبكي وأضحُك وحدي

وأنا أرى قلبي يخرجُ عن السيطرةِ ويعلنُ التمردَّ

ويُصِرُّ أن يناديكَ ليلاً نهارا

مضى وقتٌ طويلٌ على آخرِ دقّةِ قلبٍ بصدري

مضى وقتٌ طويلٌ لم أشعِلْ فيه فتيلَ الأمل

مضى وقتٌ طويلٌ لم أشعِلْ شمعةً من أجلِ أَحَد

كنتُ قد نسيتُ أنَّ الحبَّ كرُكوبِ الدراجةِ ،

كقيادةِ السيارةِ ، كالقراءةِ

مهما ابتعدنا عنهُ

حين نعودُ إليهِ نمارِسُهُ بتلقائيةٍ ..

كنتُ قد نسيتُ

أنّ الحبَّ شيءٌ في طبائِعِنا .....شيءٌ جُبِلنا عليه

أنَّ الحبَّ فعلٌ لا إرادي

كرفّةِ العينِ ....كالتثاؤبِ ....كالسعالِ

كالفرَحِ ...كالبكاءِ

ليسَ لنا عليه سلطةٌ أو قرار

كنت قد نسيتُ قلبي في مكانٍ ما

وذاكرتي في مكانٍ ما

ولكن قدومِكَ أعادَ كلَّ شيءٍ إلى أصولِه

أعادَ نبضَ قلبي ،

أعادَ ذاكرَتي ، أعادَ ترتيبَ حواسّي الخمس

أعادَ ترتيبَ مواطِنَ الحُسنِ في أشلائي

لمْلَمَني ،

أعادَ قطعَ البازلِ لتُشكِّلَ تلكَ اللوحة التي تُشبهُني ،

رتَّبَ أشيائي كما كانتْ

أعادَ لي أوراقي المبعثرة

وأشعلَ كلَّ شموعِ الفرح

كنت قد نسيتُ كيف يكون العشق

لكنَّ حبُّكَ فتحَ نوافذَ الذاكرةِ لترى الشمس

وأعاد لي تلقائية الأشياء

ودون أن افكّرَ ...أجدني عاشقة

نصيب

قد تغيبْ ،

لكنَّ أنفاسَكَ تحيطُني وبلا رقيبْ

يا فرحةَ القادمِ إلى عمري

ستبقى في صدري مشاعرَ لا تخيبْ

يا مَن إذا مرَّ بطيفِهِ في خيالي

يصبحُ الشوقُ لهيب

ابقَ بعيداً إنني سلمتُ أمري للحنينِ

وقلت هذا هو النصيبْ

عندك كل الفصول

تلكَ النوارسُ التي هاجرتْ يوماً

هاربةً من مواسمِ الصقيعِ

ظلتْ تحلّقُ فوقَ البحرِ بصمتٍ

لا استطاعتْ أن تعودَ

ولا كانتْ قادرةً على الابتعادِ أكثر

هكذا كنتُ وحدي أحلّقُ نحوَ السماءِ

هاربةً من صقيعِ الوحدة

وشتاءاتِ الحزنِ ..

إلى أن أتيتَ .

أنتَ يا أنت ،

أتيتَ حاملاً بين حناياكَ دفءَ الشرقِ

وحُلمي الأُرجواني القديم

الذي دفنتُه في زوايا قلبي المعتمة

أنتَ يا أنت ،

أتيتَ بقنديلِ الفرحِ

وفتحتَ لي عالمَ الأحلامِ

كنافذةٍ لا حدودَ لاطلالتِها

وما بينَ الدهشةِ والفرحة

حوّلتَ أحلامي إلى حقيقة ..

معك ،

عادتْ النوارسُ إلى موطنِها

وبقيتُ أنا أُمسِكُ بيدِك

وأنتَ تمسكُ القلبَ الذي عشَّشَ في صدرِك

ينبضُ موسيقا الأمل ...

طائرُ النورسِ عادَ ينقرُ كتفَك

وكفَّ يدِك

ويعرفُ بإحساسِه الخلّبي

ألّا هجرةَ بعدَ اليوم

وعندَك كلّ الفصول

لا ترحل

متعبٌ هذا القلب الذي يناديك ابقَ

ويعلم أنه لا بدَّ من الرحيل

يقيني أن روحي راحلةً معك

مع ذلك أشعرُ بالغربةِ

أعرف أنك لن تبتعدَ

مع ذلك أشعرُ بالبرد

وأعرفُ أنّ أنفاسَكَ باقيةٌ ، روحَك باقيةٌ

عطرُك باقٍ على مساماتِ جسدي

أمسِكُ بأطرافِ أصابعِكَ علّك تبقى

ما الذي سيبقى منك معي ..؟

وما الذي سيرحل ؟؟

أعرفُ أنك لن تغادرَ مهما ابتعدّتَ

وأعرفُ أني سأرحلُ معك

أين تكون ...أكون

لا أحتملُ الكلمة

باردةٌ كالرخامِ كلمةُ الرحيل

باردٌ هو الغيابُ كأسطحِ المرايا

وأنا في غيابكَ كامرأةِ الثلج،

فاقدةَ الروحِ والحياة

شقيٌّ هذا القلب إذا ناداك ابقَ

لأنه يعرفُ أن لا شيءَ يساوي ترابَ الوطن

سأكونُ معك ....

أنا وقلبي وروحي ودعائي

سأكون معك

يا رجلاً لم يعدْ يتسعُ له القلب

فقد صارَ رجلاً بحجمِ وطن

نكونُ أو لا نكون

أشهدُ بالضوءِ الخارجِ من عينيكَ الليلة

وبابتسامتِكَ اللطيفةِ الشريرةِ المخفيّة

أشهدُ بكلِّ شقاوةِ الأطفالِ الخارجةِ من خدّيك

وكلِّ جنونِكَ المسجون في صدرِكَ

ينتظرُ أن يلبيَ النداءَ

أشهدُ بحنانِكَ ، بعشقِكَ المكتومِ ،

بلهفةِ أصابعِ يديكَ

بشوقِكَ الذي بدا

أسرع من طائرةٍ كونكورد

هاربةً من أجوائِها

يخترقُ هذا الشوق صدرَك ،

فتحرقُني أنفاسَكَ الجهنَّمية

أشهدُ بابتعادِنا

الذي جعلَنا أقرب من أرواحِنا إلينا

أشهدُ بكلِّ ما ذكرتُه حبيبي

بأنكَ تحتاجُ مثلي جرعةً من العناقِ الحارقِ

وأنكَ وأنني نحتاجُ أن نتقاسمَ الجنون

فمثلنا في العشقِ شيءٌ نادرٌ

نكونُ يا حبيبي

أو لا نكون

بعد طول انتظار

لستُ أصدّق أنكَ كنتَ بين ذراعيّ

من بعدِ شوقٍ كبير

ومن بعدِ طولِ انتظار

لستُ أصدّق أنكَ اقتربتَ كثيراً ...

عانقتَني وتلاشيتَ في لحظةٍ قاتلة

مازالَ في روحي ذاكَ الشوقُ كوخزِ الإبر

ما زلتُ عطشى إليك ولم أرتوِ من ضمّةٍ عابرة

كنتُ أهيّءُ نفسي لساعاتِ عشقٍ تطولُ

كنتُ أمنّي النفسَ بقبلةٍ أرتشفُ فيها حناياكَ

حتى الصّميم

كنتَ قريباً جداً ..فهلْ كان حلُماً ...؟

لا ليسَ حلماً

شممتُكَ حين ضممتُك

شعرتُ بخفقةِ قلبك بلهيبِ أنفاسِك قربَ أذني

ما كان حلماً، صوتُك كانَ يهزُّ كياني فأين اختفيتَ ....؟

يا وجعَ المسافاتِ شقّي طريقاً إليه

يا سوادَ الليلِ الذي غيّبه قبلَ غيابِكَ

كانَ القمرُ بدراً ثم انتحرَ على عتمةِ العمرِ بعدَك

وما زلتُ أنتظرُ حتى تعود

يا عائداً دونَ شوقِ اللقاءِ

كأنك لا لم تعدْ

يا عائداً دون ضحكةِ عينيك ،

إذا لم يكنْ غرامُك فيضاً وشوقُك فيضاً ...

وحضنُك سيلاً من القبلاتِ

كأنك لا لم تعدْ ...

ما كان حلُماً حضورُك

ولكنّ رجوعَك وحدك دون اللهفةِ في شفتيكَ ...

ودونَ الشوقِ الذي كان يسكنُ في عينيك

ينبئُ أنكَ يا عشقَ عمري قد تهتَ عن خفقِ قلبي ...

لا لم تعدْ

قليلٌ من العمرِ يكفي شراسةَ هذا الغرام

ولكن كثيرٌ من اللومِ يحتاجُ عمراً ويبقى المَلام

تعال حبيبي

فمهما يغيبُ الحَمَام

هنا في حناياَ وطنُ السلام

وما زلتُ أنتظرُ حتى تعود

غيرة

عاقلةٌ أنا يا حبيبي في كلِّ الأمورِ

إلّا فيما يخصُّ حبّنا الكبيرا

مجنونةٌ أصيرُ يا حبيبي

وداخلي تستيقظُ تلكَ الطفلةُ الصغيرة

أغارُ من مرآتِكَ ...أغارُ من ثيابِكَ

أغارُ لو أطلتَ قربي التفكيرَ

كبّري عقلكِ ..!

وهل يُبقي العشقُ يا حبيبي

في رؤوسِ العاشقينَ عقولا ...؟

أعذرني

اعذرْ حبيبي بساطَتي

وأسئلتي العفويةَ البريئةَ والطيبة

أنتَ الذي ابيضَّ شعرُ رأسِه

بخوضِ غمارِ التجرُبة

وأنا الطفلةُ الصغيرةُ الوحيدة المكتئبة

سعادتي أن أتكوَّرَ في أحضانِك

أتعلَّقَ بعنقِك

واستمعَ لحَكايا سندباد المرعبة

معكَ فقط أضحكُ من أعماقي

وترتديني حالةٌ محبَّبه

فمنذُ أن عرفتُكَ ، والحبُّ ملءَ قلبي

وكلما كلَّمتني ، حرّكتَ بي مشاعري الملتَهبة

يا سيدي صبراً معي

فإنني بحضورِكَ شيطانةٌ ، شقيّةٌ

وقطّةٌ مكهربة

يا رجلاً يأسرُني هدوؤُه ،

تخيفُني عيونُه ذات النظراتِ الثاقبة

يحتملُ شراسَتي

ويحتويني بكلِّ حبّ مهما كنتُ غاضبة

اعذرْ جنوني فإنني

أكرهُ يا سيدي العواطفَ المعلّبة

أهواكَ ...فاعذرْ في هواكَ صبابتي

فكيف أصبحُ في حضورِكَ راهبة ...؟

هروب

وداعاً للصدقِ ، للإخلاصِ ، للوفاءِ

سأشربُ اليومَ نخبَ رحيلِك

ونخبَ هروبِك

ونخبَ خِداعِك

ونخبَ خذلانِكَ لي...

نخبَ كلّ الكلامِ الذي كنتَ تقولُه ولا تعنيه

نخبَ كلَّ العناقِ والأحضانِ والقبلاتِ

التي كنتَ تخصُّني بها زيفاً

سأشربُ اليومَ حتى الثمَالة

وأنساكَ قبلَ طلوعِ الصباح

سأشربُ نخبَ لحظاتِ ضَعفي معك

ونخبَ غبائي فقد كنتُ أعرفُ أنك تكذبُ

منذُ عرفتُك

ولذَّ لقلبي أن يسمعَك ..

وداعاً لحبّي الكبير

وداعاً لهذي الحياة

نخبَ دموعاً عليَّ تراق

وشكرا لأن فراقُكَ سجّلَ تاريخاً لا ينسى

مع عيدِ العشاق...

وآخرَ كأسٍ لديَّ

سأشربُ نخبَ الفراق

شربتُ كثراً.....دعوني أنام

إذا غبتَ

إذا غبتَ أنت ، فما للكونِ وجود

ياعمري الباقي وفرحةَ خاطري

يا رجائي من ربّي المعبودْ

يا توءَم الروح ستبقى مقاوماً

إنَّ الرجولةَ تنحني للموتِ حين يسودْ

أبقاكَ لي ربُّ الخلائقِ يا حبيبي سالماً

موعودةً بكَ يا حبيبي أن تعودْ

أنا لا أخافُ عليكَ ، أعرفُ أنكَ

رجلاً تهابُه في الحياةِ أسودْ

ابقَ على قيدِ الحياةِ ، فقد علّمتني

أنّ الحياة صمود

حكمُ القبيلة

أصدرتْ القبيلةُ حكمَها

لمجرّد أنني سمراءُ البشرة

أبعَدوني إلى منفى له رائحتَهم ،

لونَهم ، لغتَهم ،

رفضوا وجودي بينَهم

لأنني غجريةُ المشاعر

مجنونةُ العشقِ والهوى

خافوا أن تغارَ نساؤهم مني

وأن تنتقلَ عدوى جنوني للجميع

أنا القادمةُ إلى عالمٍ لا يشبهُني

أنا القادمةُ من عذوبةِ الأنهارِ

إلى عالمٍ تثقلُه ملوحةَ البحارِ

أصدرتْ حكمَها القبيلة

لأن في عيوني مرآة تعكسُ وجوهَهم الحقيقية

التي يرفضونَها

حكمتْ عليَّ القبيلة ،

لأنني الوجهُ الحقيقيُّ الوحيدُ

في عالمِ الأقنعة

والابتسامةُ التي يخافُ منها الجميع

أنا الغجريةُ التي أتت من أجلِ حبَّها الكبير

القاطنَ بينَهم

هو منفاي وعالمي الجديد

معه ستبدأُ الحياة

له كلُّ صفاتِهم

ولكنه يحملُ عذوبةً تشبهُ عذوبةَ أنهاري

لي في هذا القومِ وتدُ خيمةٍ

سأزرعُ خيمتي عليه

لي عشقٌ مزروعٌ بينهم لن أرحلَ دونَه

ولن أستسلمَ أبدا .

تحدّي

فليخْرِجوني من نقيِّ عظامِكَ لو استطاعوا

وليخرجوكَ من أوردتي لو استطاعوا

ما كُتِبَ في السماءِ

لن تمحوَه ممحاةُ بشر

لا عناد بعد اليوم

أجملُ ما في عشقِنا حبيبي

أنه هزمَ العنادَ داخلي وداخلَك

كلُّ خلافاتِنا تبدأُ بالصمتِ والرحيلِ

وتنتهي باشتياقٍ يرفضُ المجاهَرة

.. وبعدَها ...بعضُ المكابرة

ونعودُ بعدَها بشوقِ عُمْر

لن نكون معاً

تلكَ اللحظاتُ

التي نخطّطُ لتكونَ لحظات سعادتِنا

تتحوّلُ فجأةً للحظاتِ شقاءْ

لم يُطلبْ منكَ أن تأملَ أو تشاءَ

فإنَّ مشيئةَ الله هي شيءٌ آخرَ

بعيداً عن مشيئتِك

هكذا نحن حاولنا كثيرا

وصُدِمنا بحقيقةٍ واحدةٍ ...

أننا ما خُلِقنا لنكونَ معاً

الحبُّ وحده لا يكفي

حين يحاربُكَ الجميع

ليقتلوا هذا الحبَّ .

قد لا تكونَ حبُّ العمر

ولكنك كنتَ حبيباً

اختصرَ كلَّ العمرِ في عينيه

كنتَ كقطارٍ سريعٍ مرَّ في أراضيَّ الجدباء

اهتزّ كياني بعبورِكَ هكذا مسرعاً

ولم أنلْ منكَ سوى تصدّعِ روحي

جرعةٌ واحدة

دعني أعلّمُكَ كيفَ نشربُ نخبَ الجنونِ

حتى الثمالة

وكيف يتوقفُ العمرُ وقتَ اللقاء

مهما على حبِّنا الليلُ طالَ

أنتَ الذي ما عرفتَ طعمَ الخمرِ قط

دعني أعلّمُكَ كيف ينسكبُ النبيذُ من دمائي

ويستوطنُ في شراييك

كيف نُعتَّقُ معاً وندخلُ أقبيةَ اللّذة

حتى نفقدَ الوعيَ والذاكِرة

ما الذي يساوي جرعة من هواكَ ...؟

لا الجعةُ تروي ...ولا العرَقُ يُشعِرُني بالجنونِ

كما شفاهُكَ حين تسافرُ فوقَ مسامي

دعني أعلّمكَ كيف تشربُ نخبي

دعني أراكَ خارجَ حدّ العقلِ وخارجَ حدّ اتزانِك

فكم مرّةً وبلا أي خمرٍ

خرجتُ بشوقي عن السيطرة

هذياني أنتَ ، سكرتي أنتَ

وكلُّ تفاصيلك تبدو كؤوساً

تقول اشربيني جرعةً واحدة

آخر الموانئ

لم أكنْ في حياتِكَ حين ابيَضَّ شعرُ رأسِكَ

ولم أكنْ في الخمسين ربيعاً

التي عشتَها قبلي ،

لم أكنْ حين خطَّتْ السنونُ على وجهِكَ تعبَها

ولم أكنْ في رحلاتِكَ الكونية

التي شكَّلتْ ذكرياتِك ،آمالك ،آلامك

وجعلتْ منكَ أنتَ كما عرفتُك .

معاً بدأنا رحلةَ العمرِ خارجَ حقولِ الخريفِ

لنُدركَ أنَّ الحصادَ قد يتأخرَ

طالما السنابلُ خضراء

معاً أوقفْنا الغروبَ على خطّ الأُفق

ورسمْنا قوسَ قُزح بمطرِ الحياة

هكذا عشقتُكَ وأنتَ بئرُ حنان

ودلويَ وصلَ لقاعِك

أنهلُ من مياهِكَ العذبةِ بلا توقف

هكذا عرفتُك وأنتَ أبيضَ الشعرِ

كثلوجِ الجبالِ العالية ،

في خطواتِك ثقةٌ وكبرياء ..

لم أكنْ حين تشكلتَ رجلاً

بكلِّ ما فيكَ من مزايا

ولكنْ لي خلاصةُ العمرِ الماضي

وحكمةُ الأيامِ والليالي

وسعادةُ العمرِ القادم ...

قد تكونَ متعَباً

أيُّها الباحثُ عن صدرٍ تُلقي عليه رحالَك

وها قد وصلتْ سفنُك أخيراً لشاطئِ الأمان ،

أشعلتُ لكَ القناديلَ كي تهتدي ..

لم أكنْ حين تشكلتَ يوماً وكنتَ

ولكنني تشكلتُ منذ خمسونَ عاماً لأجلك

كتلةً من جنونٍ ....

وكم طالَ انتظاري

حتى اهتديت

الفهرس

قليل من العمر يكفي.....5
كلهن لآجلك 10
لم أعد أكتفي بالوعود.....11
فرقونا.....14
وعد.....16
لأجلي كن بخير.....18
لا شيء يشبهك.....21
لبيت النداء 26
امرأة لا تنسى.....29
احتاج عمراً 31
العمر يمضي 34
غدر 36
من قلب العتمة.....38
ربيع.....41
قبل ان اراك.....42
أمنية.....44
في حضرة انفاسك.....47
أنت صباحي.....49
متهمة بك.....50
قرار القلب 52
مواسم الحصاد.....56
مدللة.....57
اتعبتنا السنون.....58
لماذا أنت.....61
ابق معي 64
بأمر الحب 66
بيني وبينك.....69
الحب لغة الغفران.....71
اصرار.....74
اسطورة.....75
اوقفت عمري لآجلك 74
لست نادمة.....80

سكينك في ضلوعي 83
لن اتوقف عن حبك.....86
تزول المسافات بيننا.....88
حيرة.....90
صبر 94
نصيب.....97
عندك كل الفصول 98
لا ترحل.....101
نكون او لا نكون.....104
بعد طول انتظار 106
غيرة.....110
اعذرني 111
هروب.....113
إذا غبت.....115
حكم القبيلة.....116
تحدي.....119
لا عناد بعد اليوم.....120
لن نكون معاً.....121
جرعة واحدة.....123
آخر المواني‌ء.....125
الفهرس.....128